نصيحة الملك الأشرف

كتبَها: الإمامُ الحافظ ضياءُ الدينِ المقْدسيُّ

المتوفّى سنة (٦٤٣ هـ) رحمه الله

حَقّقها وعلق عليها

علي حسن علي عبدالحميد الحلبي الأثري

الحمدُ لله حقَّ حمدِه ، والصلاةُ والسلامُ على نبيه وعبده ، وعلى آلهِ وصحبهِ ووفدهِ .

أمّا بعدُ:

فهذه رسالةٌ علميّةٌ دعويّةٌ ؛ تُبيِّن حقيقةَ المنهج الذي سار عليهِ علماءُ الإسلام السابقون في مُناصحةِ الحُكّام أولياء الأمور ، وتقديم حقِّ النُّصح لهم ؛ استجابةً لأمر الله سبحانه ، واتباعاً لسنّةِ رسولهِ ﷺ .

وأصلُ هذه الرسالةِ المخطوط من محفوظاتِ ظاهرية دمشق ـ حرسها الله تعالى ـ ؛ وهي في المجموع (١١١) ، وهي نسخةٌ عزيزةٌ ؛ إذ إنّها نُسخة المؤلف [١] .

وحتّى يتمَّ الانتفاعُ بهذه الرسالة انتفاعاً علمياً تاماً أقدّم بين يديها مقدّمات:

(١) ولقد نَسَختُها ـ بخط يدِه ـ شيخُنا العلامة محمد ناصر الدين الألباني ضُحى يوم السبت الثالث من جمادى الآخرة سنة (١٣٧٦ هـ) في دمشق ، أي قبل نحو اربعين عاماً ؛ ومنه أخذتُها ؛ فجزاه الله خيراً ، واطال بقاءَه ، ونفع به .

١ـ كلمةٌ في النصيحة

النصيحةُ في الإسلام نورٌ سارٍ بين الأمّة ، تشتدُّ بها صِلاتُها ، وتتوثّق من خلالها روابطُها ، إذ إنّها تُمثّلُ في حقيقتها « إرادة الخير للمنصوح له » ، كما قال الخطابي في « معالم السُّنن » (٤/١٢٥) .

وقال الفيروزآبادي في « بصائر ذوي التمييز » (٣/٦٣): « النصيحةُ: كلمةٌ جامعةٌ مشتقّةٌ من مادةِ (ن ص ح) الموضوعة لمعنَيَيْن:

أحدهما: الخُلوص والبقاء .

والثاني: الالتئام والرِّفاء .

يقال: نَصَحَ الشيءُ ؛ إذا خَلَصَ ؛ ويمكن أن يكون النُّصْحُ والنصيحةُ مِن هذا المعنى ؛ لأنّ الناصح يَخْلصُ للمنصوح له عن الغشّ .

والمعنى الثاني: نصحَ الثوبَ نُصْحاً ؛ خاطه ... ويُمكن أن تكون النصيحةُ من هذا المعنى ؛ لأنّ الناصح يَرْفأ ويُصلح حال المنصوح له ، كما يفعل الخياط بالثوبِ المخروق » .

وفي حديثِ « الدين النصيحة » ـ الآتي ذِكرُهُ ـ إشارةٌ إلى أهميّة النصيحةِ، وذلك بتكريره ﷺ لهذه الجملة ، فيُعدُّ هذا منه ﷺ « اهتماماً للمقام ، وإرشاداً للأمّة أن يعلموا حقّ العلم أنّ الدينَ كله ـ ظاهره وباطنه ـ منحصرٌ في النصيحةِ ، وهي القيام التامُّ بهذه الحقوق الخمسة »[1]، وهي:

أ ـ النُّصح لله سبحانه .

ب ـ النصح لكتاب الله عزّ شأنه .

جـ ـ النصح لرسوله ﷺ .

د ـ النُّصح لأئمّة المسلمين .

هـ ـ النصح لعامّة المسلمين .

---

(١) « بهجة قلوب الأبرار » (ص ١٨) للعلامة السَّعدي .

فكلٌّ منها له أحكامُه ، وله آدابُه ، وله شروطه وقواعدُهُ ، بحيثُ لو نُفِّذت على وجهها الشرعيِّ لكان للمجتمع المسلم مكانتُه المُتميِّزة ، وخصائصهُ المُعْتبرة .

والخُلاصةُ أنّ النَّصيحة كلمةٌ جَمَعَتْ « كُلَّ خير يُبتغى ويُؤمر به ، وكُلَّ شرٍّ يُتَّقى ويُنْهى عنه »[1] .

٢ـ النصيحةُ لأئمّة المسلمين

. . . ومِن تلكم الحقوقِ المُشار إليها آنفاً حقُّ النصيحة لأئمة المسلمين وحُكّامِهم ؛ «فإنّ الأئمّة هم الوُلاةُ مِن الخُلفاء الراشدين ومَن بعدهم مِمن يلي أمر الأمّةِ ويقوم به .

ومن نصيحتهم مُعاونتُهم على الحقّ ، وطاعتُهم فيه ، وأمرُهم به ، وتنبيهُهم وتذكيرُهم بِرفقٍ ، وإعلامُهم بما غفلوا عنه ، وتركُ الخروج عليهم[2] ، وتألفُ الناس لطاعتهم ، والصلاةُ خلفهم ، والجهادُ معهم ، وأداءُ الصدقاتِ إليهم .

وألا يَغُرُّوهم بالثناء الكاذب عليهم ، وأنْ يُدْعى لهم بالصلاح »[3] .

قال العلامة السَّعدي في « بهجة قلوب الأبرار » (ص ١٩) :

« وأمّا النصيحةُ لأئمّة المسلمين ـ وهم ولاتُهم ؛ من الإمام الأعظم ، إلى الأمراء والقُضاةِ ، إلى جميع مَن لهم ولايةٌ عامّةٌ أو خاصةٌ ـ فباعتقادِ ولايتهم، والسمع والطاعةِ لهم ، وحثّ الناس على ذلك ، وبَذْلِ ما يستطيعُه من إرشادهم ، وتنبيهُهم إلى كُلِّ ما ينفعُهم وينفعُ الناس ، وإلى القيام بواجبهم» .

---

(١) « تعظيم قدْر الصلاة » : ٢/ ٦٨١ لابن نصر المَرْوَزِيّ .

(٢) وفي هذا تفصيلاتٌ فقهيةٌ دقيقةٌ ، ليس هنا موضعُ بيانها .

(٣) « البصائر » : ٣/ ٦٥ .

وقال الحافظ ابنُ حَجَر في « فتح الباري » (١/ ١٣٨):

« والنصيحةُ لأئمّة المسلمين إعانتُهم على ما حُمّلوا القيام بهِ ، وتنبيهُهم عند الغفلة ، وسدُّ خَلتهم عند الهفوة ، وجمعُ الكلمةِ عليهم ، وردُّ القلوب النافرة إليهم .

ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسنُ » .

أقولُ: وأئمّةُ المسلمين ـ حقاً ـ هم الذين ارْتضوْا بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً، وبالقُرآن دستوراً ، وبالرسول ﷺ أسوةً وقُدوةً . . .

ليسوا هم الذين غيّروا وبدّلوا . . .

وليسوا هم المُنحرفين الطاغين الفاجرين . . .

وليسوا هم الحاكمين بغير ما أنزل ربُّ العالمين . .

٣ـ الصِّلة بين العُلماءِ والأمراء

. . . .الأصلُ في ذلك قوله ﷺ: (ومَن أتى السّلطانَ افتُتن) [١].

لما يترتَّبُ على القُرب من السّلاطين ـ غالباً ـ من مخالفات شرعية ، وسكوت عن الحقّ ، ورضا بالباطل . . . وهكذا .

قال محمد طاهر الفَتَّني في « مَجْمع بحار الأنوار » (٤/ ٩٩) شارحاً: «وهذا لمن دَخلَ مُداهنةً ، ومَن دَخلَ آمراً وناهياً وناصحاً كان دخولهُ أفضلَ».

فمِن ها هُنا كان دخولُ العُلماء المُخلصين على الحُكّام الصادقين ، الذين

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) والترمذي: ٢٢٥٦ والنسائي: ٧/ ١٩٥ ، وأحمد: ١/ ٣٥٧ ، عن ابن عباس بسندٍ ضعيفٍ .
وله شاهدٌ عن أبي هُريرة:
رواه أبو داود: ٢٨٦٠ ، وأحمد: ٢/ ٣٧١ و ٤٤٠ ، وابن عدي: ١/ ٣١٢ ، فهو به قويٌّ إن شاء الله .

يَتَّبِعُون الحقَّ ويستجيبون له .

قال الشيخ عبدالعزيز البَدْري في كتابه « الإسلام بين العُلماء والحُكّام » (ص ١٢ - ١٣):

« ... وهؤلاء الحُكّام الذين عاصروا عُلماءنا ، ما كانوا يكرهون الإسلام، ولا يستكبرون عن حكمهِ وتحكيمه ، بل كانوا يُطبّقونه ، ويَرعون شؤون المسلمين على أساسهِ ، وأعلنوا الحربَ على أعدائِه ، ودافعوا عن بيضةِ المسلمين ، وحَمَوْا حِمى الإسلام ...

ولكنْ مع ذلك فقد نالت الدنيا منهم بعضَ الشيء ، فحملهم على اتّباع الهوى في بعض الأمور حِرصُهم على الحُكْم والسلطان ...

وما أعظمَ فتنة الحُكم والسلطان !! » .

وقد روى ابن أبي حاتم في « تقدمة الجرح والتعديل » (٣٠/١) عن الإمام مالكٍ أنّه قيل له: إنك تدخل على السلطان ! وهم يظلمون ويجورون!!

فقال مالكٌ رحمه الله: يرحمُك الله ! فأين المتكلم بالحقّ ؟ !

ولقد قال رسولُ الله ﷺ: (أفضل الجهاد كلمةُ حقٍّ عند ذِي سلطان جائرٍ) [1].

ومن أجل ذلك طرَقَ العلماءُ أبوابَ السلاطين ، لا من أجل الدنيا ، ولكنْ من أجل كلمةِ حَقٍّ يقذفونها في قلوبِ الحُكّام لعلّ الله يشرحُ بها صدورَهم ، ويُنيرُ بها قلوبَهم .

« وهم - أي: الحُكّام - في أمسِّ الحاجة إلى من يُذكّرهم بالله ، ويُصارحُهم بأخطائهم ويُرشدُهم إلى الخير ، ويُعلِمُهم بأن مسؤولية الإسلام أولَ ما تقعُ عليهم ، ولن ينجو حاكمٌ واحدٌ من غضبِ الله وسخطهِ إنْ هو

---

(١) رواه ابن ماجه: ٤٠١٢ ، وأحمد: ٢٥١/٥ و ٢٥٦ ، عن أبي أمامة بسند حسن.

فرّط في حقّ الله ، وأهملَ واجبَه كراع استرعاهُ اللهُ على خَلقه ؛ ﴿ فلنَسألنَّ الذِينَ أرسِلَ إليهِمْ ولنسألنّ المرسلين ﴾ [1].

وليس هناك عملٌ أفضلَ من هدايةِ الحاكم نحوَ الخيرِ ، لأنّ في صلاحِهِ صلاحَ البلادِ والعبادِ .

يقول إمامُ دارِ الهجرةِ مالك بن أنس: « حقٌّ على كل مُسلم أو رجل جعل اللهُ في صدرهِ شيئاً من العلم والفقهِ ، أن يدخُل على ذي سلطانٍ يأمرُه بالخير وينهاه عن الشرّ ويَعظه »[2] .

ويُعَلل ذلك بقوله: « لأنّ العالم إنّما يدخل على السلطان يأمرهُ بالخير وينهاه عن الشرّ ، فإذا كان فهو الفضلُ الذي ليس بعدَه فضلٌ » .

ذلك لأن العلماءَ دعاةٌ بألسنتهم ، وأصحابَ السلطان دعاةٌ بألسنتهم وسُلطانِهم ، وباتّفاق العُلماءِ وأصحاب السلطان ، وتعاوُنِهم في الخير تقومُ المدنيّةُ الفاضلةُ ، ويصلحُ أمرُ البلادِ والعِباد ، فالعلماءُ ورثوا من مقام النبّوةِ العلمَ ، وأهلُ السلطانِ ورثوا من مقام النبوةِ القوّة »[3] .

وبالرغم من ذلك كله ؛ فإنّنا نرى عباراتٍ كثيرةً عن العلماء والأئمّة فيها التحذيرُ من قُربهم ، أو الاتصال بهم ؛ وما ذاك - في حقيقته - إلا خشيةً على دينهم مِن الأنس بالمُنكر ، أو الرِّضا بالباطل ، أو السكوت على الانحراف:

قال حمّاد بن سَلمة: « إنْ دعاكَ الأميرُ لتقرأ عليه: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ ﴾ فلا تأته » ![4].

---

(١) الأعراف: ٦ .

(٢) « ترتيب المدارك »: ١/٢٠٧ - ٢٠٨ للقاضي عياض .

(٣) « مناهج العُلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (ص ٨٤) فاروق السامرّائي .

(٤) « حلية الأولياء »: ٦/٢٥١ .

وما ذاك منه ـ أو مِن غيره ـ رحمه الله إلا سدّاً لبابٍ لا يعلم قرارَهُ إلا ربُّ العالمين ، وقد يلجُهُ مَن ليس له بأهل ، فيُفسد إفساداً عظيماً شديداً .

وصفوةُ القول أنَّ مَن عَرَفَ في دينِه ثباتاً ، وفي علمه سعةً ، وفي نفسهِ إخلاصاً ، وفي كلامهِ صدقاً ، وفي نُصْحهِ إصلاحاً ، وفي توجيههِ استجابةً: وجَبَ عليه هذا النُّصح ، ولزِمَه ذلك التوجيهُ ؛ لعلّ الله سبحانه يُصلِحُهُ فيُصلح به ....

ولقد قال الفُضيل بن عياض: « لو أنّ لنا دعوةً مُستجابةً ما صيّرناها إلا للإمام »[1] .

والمعنى المراد من هذه الكلمةِ: « إذا جعلتُها في نفسي لم تَعْدُني ، وإذا جعلتُها في السلطان صَلَحَ ، فصَلَحَ بصلاحِهِ العبادُ والبلاد »[2] .

من أجل هذا كان الإمام أحمد يقول: « وإنّي لأدعو له ـ أي: الإمام ـ بالتسديد والتوفيق ـ في الليل والنهار ـ والتأييد ، وأرى ذلك واجباً عليَّ »[3] .

قلتُ: ونحن نقولُ ذلك ، لكنْ .. لمن يرفعُ للإسلام ـ بالإسلام ـ رأسَه ، ويشدِّدُ على المنحرفِ عنه ـ المخالفِ له ـ بأسَه..

واللهُ الهادي ـ وحدَه ـ إلى سواءِ السَّبيل .

---

(١) « الحلية »: ٨/٩١ ـ ٩٢ .

(٢) « شرح السنة »: ص ٥١ للبربهاريّ .

(٣) « السنة » رقم: ١٤ ، للخلال . وانظر « التأصيل »: ١/٧٧ ، للشيخ بكر أبو زيد.

٤ـ نماذجُ من نصائح العُلماء للأمراء

وعبرَ تاريخ الأمةِ الحافل الثّرّ نرى صُوراً شتّى متعدِّدةً مُتنوّعة من نُصح العلماء للأئمةِ والسلاطين ، نقتبسُ منها ـ في هذه المقدمةِ الوجيزةِ صورتين:

الأولى: النُّصْحُ المباشرُ مواجهةً:

فقد حكى ابنُ خَلكان في « وفيات الأعيان »: ٤/ ٢٦٤ ، أنَّ الإمام أبا بكرٍ الطرطوشيَّ دخلَ على الأفضل ابن أمير الجيوش[1] بمصر ، فبَسط تحتَه مِئْزرَه ، وكان إلى جانبِ الأفضل نصرانيٌّ !!

فوعظ الطرطوشيُّ الأفضَلَ حتى أبكاه ..

وفي « نفح الطيب »: ٢/ ٨٧ للمقَّري شيءٌ من نُصحهِ المشار إليه ، فكان منه قولهُ لهُ: « إنّ الأمْرَ الذي أصبَحْتَ فيه مِن المُلك إنما صار إليك بموت مَن كان قبلك ، وهو خارجٌ عنك بمثل ما صار إليك ، فاتّقِ اللهَ فيما حولك من هذه الأمةِ ، فإنّ الله عزّ وجلّ سائلك عن النقير والقِطمير والفتيل !

واعلمْ أنَّ اللهَ عزّ وجلّ آتى سُليمانَ بنَ داودَ مُلك الدنيا بحذافيرها ، فسخّر له الإنس والجنَّ والشياطينَ والطيرَ والوحش والبهائم ، وسخّر له الريحَ تجري بأمرهِ رُخاءً حيثُ أصابَ ، ورفَعَ عنه حسابَ ذلك أجمعَ ، فقال عزّ مِن قائل: ﴿ هذا عَطاؤنا فامْنُنْ أو أمْسِكْ بغير حِسَابٍ ﴾[2] فما عدَّ ذلك نعمةً كما عَدَدْتُموها ! ولا حَسِبَها كرامة كما حَسِبْتُموها ! بل خاف أن يكون استدراجاً من الله عزّ وجل ، فقال: ﴿ هَذا مِنْ فَضْلِ ربي ليبلوَني أأشكر أم أكفر ﴾[3] فافتح البابَ ، وسهِّل الحجاب ، وانْصُر المظلوم » .

---

(١) انظر « النجوم الزاهرة »: ٥/ ٢٢٢ ، و« البداية والنهاية »: ٢/ ١٨٨ .

(٢) سورة ص: ٣٩ .

(٣) سورة النمل: ٤٠ .

ثم انشَدَهُ مُشيراً إلى النَّصرانيِّ:

يَـا ذا الـذِي طـاعَتُـه قُربَـةٌ   وَحَـقُّـهُ مُـفْتـرضٌ واجِـبُ
إنَّ الـذِي شُـرِّفْـتَ مِـنْ أجْلِهِ [1]   يـزْعُـمُ هـذا[2] أنَّهُ كـاذِبُ

فلمّا سَمِعَ الأفضلُ ذلك أقام النصرانيَّ من موضعهِ[3] ......

فانظروا ـ رحمكم الله ـ إلى استجابة الأمير لِنُصح العالم ، وائتمارهِ بأمْرِهِ، وقيامِه بحقِّه ..

الصورةُ الثانية: النُّصْحُ المباشرُ مكاتبةً:

قال ابن العطار في « تحفة الطالبين »: (١٠١):

« وكان الإمامُ النوويُّ مواجهاً للملوكِ والجبابرةِ بالإنكارِ ، ولا يأخذُه في الله لومةُ لائم ، وكان إذا عَجَزَ عن المواجهةِ ؛ كتب الرَّسائلَ ، وتوصّل إلى إبلاغِها».

ومِما كتبه لبعض سلاطين عَصْرِهِ لمّا سُلب كثيرٌ مِن أملاكِ دمشقَ ، وأخذها أعوانُ السلطان من أصحابها:

(١) وهو كتابُ اللهِ وسُنَّةُ رسولهِ ﷺ .

(٢) أي: النصرانيّ بسبب كُفره .

(٣) وانظر « سير أعلام النبلاء »: ١٩/٤٩٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين .

قال اللهُ تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فإنَّ الذِّكرى تَنفعُ المؤمنين ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿ وإذْ أخذَ اللهُ ميثاقَ الذين أوتوا الكِتابَ لتُبيِّنُنَّهُ للنَّاس ولا تكتُمونَهُ ﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿ وتعاوَنوا على البرِّ والتقوى ولا تعاوَنوا على الإثم والعدوان ﴾[3] .

وقد أوجب الله على المكلفين نصيحة السلطان - أعزَّ الله أنصاره - ونصيحةَ عامَّةِ المسلمين ، ففي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: (الدِّين النصيحةُ ؛ لله ولكتابه ، ورسوله ، وأئمة المسلمين وعامَّتهم)[4].

ومن نصيحةِ السلطانِ - وفَّقه الله لطاعته ، وتولاه بكرامتهِ - أن يُنهى[5] إليه الأحكامُ إذا جرَتْ على خلاف قواعدِ الإسلام .

وأوجبَ اللهُ تعالى الشَّفقةَ على الرعيَّة ، والاهتمامَ بالضَّعَفَةِ ، وإزالة الضَّررِ عنهم .

قال اللهُ تعالى: ﴿ وَاخفِض جَناحَك للمُؤمنينَ ﴾[6] .

وفي الحديث الصحيح: قال رسول الله ﷺ: (إنَّما تُنصرونَ وتُرزقونَ

---

(١) سورة الذاريات: ٥٥ .

(٢) سورة آل عمران: ١٨٧ .

(٣) سورة المائدة: ٢.

(٤) سيأتي تخريجه .

(٥) أي يصله ويُرفع إليه .

(٦) سورة الحجر: ٨٨ .

بضعفائكم) [1].

وقال ﷺ: (مَن كَشَفَ عن مسلم كُربةً مِن كُربِ الدُّنيا ؛ كشفَ الله عنهُ كُربةً من كربِ يوم القيامةِ ، واللهُ في عونِ العبدِ ما دامَ العبدُ في عون أخيه)[2].

وقال ﷺ: (اللهمَّ مَن وَلِيَ مِن أمر المسلمين شيئاً ، فرفَقَ بهم ؛ فارفُق به ، ومَن شقَّ عليهم ؛ فاشقُق عليه) [3].

وقال ﷺ: (كُلكم راعٍ ، وكُلكم مَسؤولٌ عن رعيته) [4].

وقال ﷺ: (إنَّ المقسِطين على منابرَ من نور على يمين الرَّحمن ؛ الذين يعدِلونَ في حُكمهم ، وأهليهم ، وما وُلوا) [5].

وقد أنعمَ اللهُ تعالى علينا وعلى سائرِ المسلمين بالسُّلطان - أعزَّ اللهُ أنصارَه- فقد أقامَه لنُصرَةَ الدِّين ، والذَّبِّ عن المسلمين ، وأذلَّ به الأعداءَ من جميع الطوائفِ ، وفتح عليه الفُتوحاتِ المشهورةَ في المدَّةِ اليسيرةِ ، وأوقعَ الرُّعبَ منه في قُلوبِ أعداء الدِّين ، وسائرِ المارِدين ، ومهَّد له البلادَ والعبادَ، وقمعَ أهلَ الزَّيغ والفساد ، وأمدَّه بالإعانةِ واللطفِ والسَّعادةِ .

فلله الحمدُ على هذه النِّعَم المتظاهرةِ ، والخيراتِ المتكاثرةِ ، ونسألُ اللهَ الكريم دوامَها له وللمُسلمين ، وزيادتَها في خيرٍ وعافيةٍ . آمين .

---

(١) هو بهذا اللفظ - في « مسند أحمد »: ٥/١٩٨ « وسنن النَّسائي »: ٦/٤٥ ، وسُنن الترمذي: ١٧٠٢ ، و« صحيح ابن حبان »: ٤٧٦٧ ، بسند صحيح . وهو في «صحيح البخاري »: ٢٨٩٦ ، عن سعد بن أبي وقاص بلفظ: (هل تُنصرون إلا بضعفائكم) .

(٢) رواه مسلم: ٢٦٩٩ .

(٣) رواه مسلم: ١٨٢٨ .

(٤) رواه البخاري: ٩٨٣ ، ومسلم: ١٨٢٩ .

(٥) رواه مسلم: ١٨٢٧ .

بضعفائكم)[1].

وقال ﷺ: (مَن كشَف عن مسلم كُربةً مِن كُربِ الدُّنيا ؛ كشفَ الله عنهُ كُربةً من كربِ يوم القيامةِ ، واللهُ في عونِ العبدِ ما دامَ العبدُ في عون أخيه)[2].

وقال ﷺ: (اللهمَّ مَن وَلِيَ مِن أمرِ المسلمين شيئاً ، فرفَقَ بهم ؛ فارفُق به ، ومَن شقَّ عليهم ؛ فاشقُق عليه)[3].

وقال ﷺ: (كُلكم راعٍ ، وكُلكم مَسؤولٌ عن رعيته)[4].

وقال ﷺ: (إنَّ المقسِطين على منابرَ من نور على يمين الرَّحمن ؛ الذين يعدِلونَ في حُكمهم ، وأهليهم ، وما وُلوا)[5].

وقد أنعمَ اللهُ تعالى علينا وعلى سائرِ المسلمين بالسُّلطان - أعزَّ اللهُ أنصارَه- فقد أقامَه لنُصرَةِ الدِّين ، والذَّبِّ عن المسلمين ، وأذلَّ به الأعداءَ من جميع الطوائفِ ، وفتح عليه الفُتوحاتِ المشهورةَ في المدَّةِ اليسيرةِ ، وأوقعَ الرُّعبَ منه في قُلوبِ أعداء الدِّين ، وسائرِ المارِدين ، ومهَّد له البلادَ والعبادَ، وقمعَ أهلَ الزَّيغ والفساد ، وأمدَّه بالإعانةِ واللطفِ والسَّعادةِ .

فلله الحمدُ على هذه النِّعَم المتظاهرةِ ، والخيراتِ المتكاثرةِ ، ونسألُ الله الكريم دوامَها له وللمُسلمين ، وزيادتَها في خيرٍ وعافيةٍ . آمين .

---

(١) هو بهذا اللفظ - في « مسند أحمد »: ٥/١٩٨ « وسنن النَّسائي »: ٦/٤٥ ، وسُنن الترمذي: ١٧٠٢ ، و« صحيح ابن حبان »: ٤٧٦٧ ، بسند صحيح . وهو في «صحيح البخاري »: ٢٨٩٦ ، عن سعد بن أبي وقاص بلفظ: (هل تُنصرون إلا بضعفائكم) .

(٢) رواه مسلم: ٢٦٩٩ .

(٣) رواه مسلم: ١٨٢٨ .

(٤) رواه البخاري: ٩٨٣ ، ومسلم: ١٨٢٩ .

(٥) رواه مسلم: ١٨٢٧ .

وقد أوجبَ اللهُ شُكرَ نِعَمِه ، ووعدَ الزيادةَ للشّاكرين ، فقال تعالى: ﴿لئنْ شكَرتُم لأزيدنَّكُم﴾ [1] .

ولقد لحقَ المسلمين بسببِ هذه الحوطةِ على أملاكِهم أنواعٌ من الضرر ، لا يُمكنُ التَّعبيرُ عنها ، وطلبَ منهم إثباتٌ لا يلزَمهم ، فهذه الحوطةُ لا تحلُّ عند أحدٍ من عُلماء المسلمين ، بل مَن في يدهِ شيءٌ ؛ فهو مُلكُه ، لا يَحِلُّ الاعتراضُ عليه ، ولا يُكلف بإثباتهِ .

وقد اشتُهرَ من سيرةِ السلطان أنَّهُ يُحِبُّ العملَ بالشَّرع ، ويُوصي نوَّابه ، فهو أولى مَن عملَ به .

والمسؤولُ إطلاقُ النَّاس من هذه الحَوطةِ ، والإفراجُ عن جميعهم ، فأطلِقْهم أطلقك الله من كل مكروه ؛ فهُم ضَعَفَةٌ ، وفيهم الأيتامُ ، والأراملُ ، والمساكينُ ، والضعفةُ ، والصالحونَ ، وبهم نُنصَر ونُغاث ، ونُرزق ، وهم سكان الشام المبارك ، جيران الأنبياء ـ صلواتُ اللهِ وسلامه عليهم ـ وسكّانُ ديارهم ، فلهم حُرُماتٌ من جهات .

ولو رأى السُّلطانُ ما يلحقُ النَّاسَ من الشَّدائد ؛ لاشتدَّ حُزنُه عليهم ، وأطلقهم في الحال ، ولم يُؤخِرهم ، ولكنْ لا تُنهى الأمورُ إليه على وجهها.

فبالله ! أغثِ المسلمين ؛ يُغثْكَ الله، وارْفق بهم ؛ يَرفق الله بك ، وعجلْ لهم الإفراج قبل وقوع الأمطار ، وتلف غلاتهم ؛ فإنَّ أكثرهم ورثوا هذه الأملاك من أسلافهم ، ولا يُمكنهم تحصيلُ كُتبِ شراء ، وقد نُهبَت كُتبُهم.

وإذا رفقَ السلطانُ بهم ؛ حصل له دعاءُ رسولِ الله ﷺ لمن رفق بأمَّته [2] ،

---

(١) سورة إبراهيم: ٧ .

(٢) كما في «صحيح مسلم»: ١٨٢٨ عن عائشة رضي اللهُ عنها مرفوعاً: (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم ، فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم، فارفُق به) .

ونصرَه على أعدائه ؛ فقد قال اللهُ تعالى: ﴿ إنْ تنصُروا الله ينصُرْكُم ﴾[1].

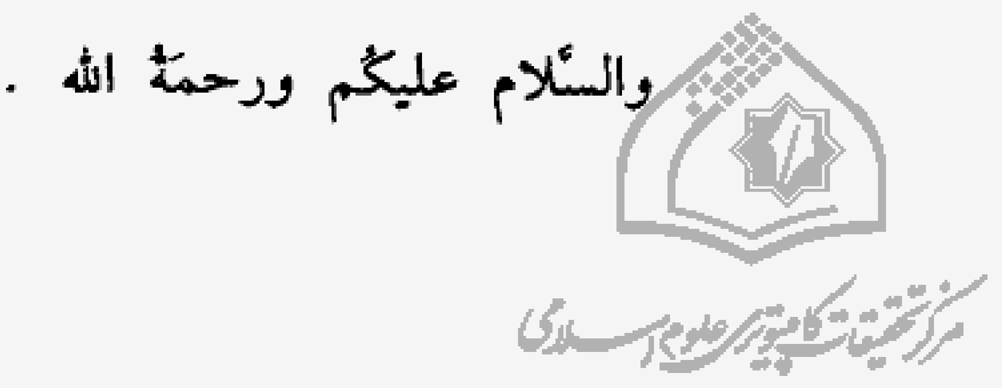
وتتوفَّرُ له من رعيته الدَّعوات ، وتظهرُ في مملكتِه البركات ، ويُباركُ له في جميع ما يقصدُه من الخيرات .

وفي الحديثِ عن رسول الله ﷺ قال: (من سنَّ سُنَّة حسنة ؛ فلهُ أجرُها وأجرُ مَن عَملَ بها إلى يوم القيامةِ ، ومن سنَّ سنَّة سيئةً ؛ فعليهِ وزرُها ووزرُ من عملَ بها إلى يوم القيامة)[2].

فنسألُ الله الكريم أن يُوفِّق السلطان للسُّنَنِ الحسنةِ التي يُذكرُ بها إلى يوم القيامة ، ويحميه من السُّنن السيئة .

فهذه نصيحتُنا الواجبةُ علينا للسُّلطان ، ونرجو من فضل الله تعالى أن يُلهمَه فيها القبول .

والسَّلام عليكُم ورحمَةُ الله .



(١) سورة محمد: ٧ .

(٢) سيأتي تخريجه.

٥ـ ترجمة الملك الأشرف (١)

صاحبُ دِمشقَ ، السُّلطانُ الملكُ الأشرفُ ، مظفَّر الدِّين أبو الفتح موسى شاه أرمن ، ابنُ العادل .

وُلد بالقاهرة في سنة ستّ وسبعين ، فهو من أقرانِ أخيه المعظم .

وروى عن ابن طبرْزد . وحَدَّثَ عنه أيضاً القُوصِي في « معجمه » ، وسمع « الصحيحَ » في ثمانية أيام من ابن الزَّبيديّ . تَمَلك القدسَ أولاً ، ثم أعطاه أبوه حَرّان والرُّها وغير ذلك ، ثم تَمَلك خِلاط ، وتنقلت به الأحوال ، ثم تملك دمشق بعد حصار الناصر بها ، فعَدل وخَفَّف الجَوْر ، وأحَبّته الرَّعية . وكان فيه دينٌ وخوفٌ من الله ـ على لعبه ـ ، وكانَ جواداً، سمحاً ، فارساً ، شجاعاً ، لديه فضيلة .

ولما مرّ بحلب سنة خمس وستمائة تلقّاه الملكُ الظاهرُ ابن عمِّه وأنزله في القلعة، وبالغ في الإنفاق عليه، فأقام عنده خمسة وعشرين يوماً، فلعله نابه فيها لأجله خمسون ألف دينار ، ثم قدَّمَ له تقدمةً وهي: مائة بُقجةٍ مع مائة مملوك فيها فاخرُ الثياب ، وخمسةٌ وعشرون رأساً من الخيل، وعشرون بغلاً، وقطاران جمالٍ ، وعدّة خِلع لخواصّه ، ومائة ألف درهم ، وأشياء سوى ذلك .

ومن سعادته أنّ أخاه الملكَ الأوحد صاحِب خِلاط مَرِضَ فعادَهُ الأشرفُ ، فأسَرَّ الطبيبُ إليه: إنّ أخاك سيموتُ ، فمات بعد يوم واستولى الأشرفُ على أرمينية .

وكان مليحَ الهيئة ، حُلو الشمائل . قيل: ما هُزمت له رايةٌ . وكان له عكوفٌ على الملاهي والمُسكر عفا الله عنه ! ويُبالغُ في الخُضوع للفُقراءِ ويزورُهُم ويُعطيهم ، ويُجيز على الشِّعر ، ويبعث في رمضان بالحلاوات إلى أماكن الفقراء ، ويُشارك في صنائع ، وله فَهم وذكاءٌ وسياسة . أخْرَبَ

---

(١) وهي مختصرةٌ من « سير أعلام النبلاء »: ٢٢/١٢٢ ـ ١٢٧ .

خانَ العقيبة ، وعمله جامعاً .

قال سِبْط الجوزي: فجلستُ فيه ، وحَضَرَ الأشرفُ وبكى وأعتق جماعة .

وعمل مسجدَ بابِ النَّصر ، ودار السعادة ، ومسجدَ أبي الدرداء ، وجامعَ جراح ، وداريَ الحديثِ بالبلد وبالسفح والدَّهشةِ ، وجامعَ بت الأبار .

قال سِبط الجوزيّ: كان الأشرفُ يحضر مجالسي بحَرّان ، وبخِلاط ، ودِمشق ، وكان ملكاً عَفيفاً ، قال لي: ما مددتُ عيني إلى حريم أحدٍ ولا ذكرٍ ولا أنثى ؛ جاءتني عجوزٌ من عند بنت صاحب خِلاط شاه أرمن بأنْ الحاجب عليّاً أخذ لها ضيعة ، فكتبت بإطلاقها، فقالت العجوزُ: تريد أنْ تحضرَ بين يديك . فقلت: باسم الله ، فجاءت بها فلم أرَ أحسنَ من قوامِها ولا أحسَن من شكلها فَخَدَمَت ، فُقمتُ لها، وقلتُ: أنتِ في هذا البلد وأنا لا أدري ؟

فسَفَرَتْ عن وجهٍ أضاءت منه الغُرفةُ ، فقلت: لا ، استتري . فقالت: مات أبي واستولى على المدينة بَكْتَمُر ، ثم أخذ الحاجبُ قريتي ، وبقيتُ أعيشُ من عَمل النَّقش وفي دارٍ بالكراء .

فبكيتُ لها ، وأمرتُ لها بدار وقِماش ، فقالت العجوزُ: يا خَوَنْدُ ألا تحظى الليلة بك ؟ فوقع في قلبي تغيرُ الزمان وأن خِلاط يملكُها غيري ، وتحتاجُ بنتي أن تقعَد هذه القعدة [1] ، فقلت: معاذ الله ما هذا من شيمتي . فقامت الشابةُ باكيةً تقول: صان اللهُ عواقِبكَ .

وله شِعرٌ فيما قيل .

قال: وكنتُ أغشاه في مرضه ، فقلت له: استعدَّ للقاء الله فما يضرُّ ، فقال: لا واللهِ بل ينفعُ ، فَفَرّق البلادَ ، وأعتق مماليكه نحو مئتين ، ووقف دار السعادة والدَّهشة على بنته .

وقال ابنُ واصل: خَلفَ بنتاً فتزوّجها الملكُ الجواد ، فلمّا تسلطنَ عَمُّها

---

(١) اللهُ أكبر ! ما أعزَّ الشرفَ عند أهل الإسلام!

الصَّالحُ فسخَ نِكاحَها ، ولأنه حلف بطلاقِها على شيء فعله ، ثم زوَّجها بولده المنصور محمد ، فدامت في صُحبته إلى اليوم .

وكان للأشرف مَيْل إلى المحدِّثين والحنابلةِ ؛ قال ابنُ واصل: وقعتْ فتنة بين الشافعية والحنابلة بسبب العقائد ، قال: وتعصَّب الشيخ عزّ الدين بن عبدالسلام على الحنابلة ، وجرت خَبْطةٌ ، حتى كتب عز الدين رحمه الله إلى الأشرف يقعُ فيهم ، وأن الناصحَ ساعدَ على فتح باب السلامة لعسكر الظاهر والأفضل عندما حاصروا العادل ، فكتب الأشرف: يا عز الدين الفتنة ساكنة لعن الله مُثيرَها ، وأما بابُ السلامة فكما قيل:

وجُرْم جرّه سفهاء قوم ... فحلَّ بغير جانيهِ العذابُ

وقد تاب الأشرفُ في مرضهِ وابتهل ، وأكثر الذِّكرَ والاستغفارَ .

قلت: مَرِضَ مرضين مختلفين في أعلاهُ وأسفله ، فقيل: كان الجرائحيُّ يُخرجُ من رأسه عظاماً ، وهو يحمدُ الله .

وقال ابنُ حَمُّوَيه: كان به دماملُ في رأسهِ ومَخرجِه، وتأسَّفَ الخَلقُ عليه.

قلتُ: كان يبالغُ في تعظيم الشيخ الفقيه[1] ، توضّأ الفقيهُ يوماً ، فوثب الأشرفُ ، وحَلَّ من تخفيفته ورَماها على يَدَيِ الشيخ لِيُنَشِّف بها . رأى ذلك شيخُنا أبو الحسين ، وحكاه لي .

مات في رابع المحرّم سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وكان آخر كلامِهِ «لا إله إلا الله » فيما قيلَ[2].

رحمه اللهُ ، وعفا عنه .

---

(١) هو اليونينيُّ ، ستأتي ترجمتُه .

(٢) انظر في ترجمته ـ أيضاً ـ « التكملة »: ٢٧٧٥ ، للمنذري ، و« وفيات الأعيان »: ٣٣٥/٥، و« العبر في أخبار من عَبر »: ١٤٦/٥ ، و« البداية والنهاية »: ١٤٦/١٣.

٦ـ ترجمة الإمام الضياء المقدسيّ (١)

هو محمد بن عبد الواحدِ بن أحمدَ بن عبدالرحمن بن إسماعيلَ بن منصور السَّعْدي ، المقدسيّ ، الصالحي ، الحافظ الكبيرُ ، ضياءُ الدين أبو عبدالله بن أبي أحمد .

مُحدّثُ عصرهِ ، ووحيدُ دهره ، وشهرتُه تُغْني عن الإطنابِ في ذِكره ، والاشتهارِ في أمرهِ .

ولد في خامس جُمادى الآخرةِ سنة تسع وستينَ وخمسمائة . كذا وُجد بخطه .

وسمع بدمشق من أبي المجدِ البانياسيّ ، والخَضِر بن هبةِ الله بن طاووسَ، وأحمد بن الموازينيّ ، وغيرهم .

وسمع بمصرَ من البُوصيريّ ، وفاطمة بنت سَعْدِ الخير ، وجماعةٍ .

وسمع ببغداد الكثيرَ من ابن الجوزيّ ، وابن المغطوش ، وابنُ سُكَينة ، وابن الأخضر ، وطبقتهم .

ورَحَلَ مرتين إلى أصبهانَ ، وسمع بها ما لا يُوصفُ كثرةً .

وكتب بخطه الكثيرَ من الكُتبِ الكبارِ وغيرها ، ويقال: إنه كتب عن أزيدَ من خمسمائةِ شيخ ، وحصَّل أصولاً كثيرةً ، وأقام بهراةَ ، ومَرْو ، مدَّة .

وله إجازةٌ من السلفي ، وشُهدة .

قال ابن النجار: كُتِبَ عنه ببغدادَ ونيسابور ، ودمشق .

وهو حافظٌ ، مُتقنٌ ، ثبْتٌ ، ثقةٌ ، صدوقٌ نبيلٌ حجةٌ ، عالمٌ بالحديث وأحوال الرجال .

له مجموعاتٌ وتخريجاتٌ ، وهو ورَعٌ تقيٌّ زاهد، عابدٌ محتاطٌ في أكل

---

(١) وهي مُلخصة من « ذيل طبقات الحنابلة »: ٢/٢٣٦ ـ ٢٤٠ ، لابن رجب .

الحلال ، مجاهدٌ في سبيل الله .

ولَعَمْري ما رأت عيناي مثله ؛ في نزاهتهِ وعفتهِ ، وحُسنِ طريقتهِ في طلبِ العلم .

وقال عمرُ بن الحاجب: شيخُنا أبو عبدالله شيخُ وقتهِ ، ونسيجُ وحدِه ، عِلماً وحفظاً ، وثقةً وديناً ، من العُلماء الربانيِّين ، وهو أكبرُ من أن يَدُلَّ عليه مثلي .

كان شديدَ التحرّي في الروايةِ ، مُجتهداً في العبادةِ ، كثيرَ الذِّكر ، مُنقطعاً عن الناس ، مُتواضعاً في ذاتِ الله ، سَهْلَ العاريّة .

رأيتُ جماعةً من المحدّثين ذكروه فأطنبُوا في حقّهِ ، ومدحوه بالحفظِ والزهدِ .

سألت الزكيَّ البِرْزالي عنه ، فقال: ثقةٌ جبلٌ ، حافظٌ ديِّنٌ .

وقال الشَّرفُ بن النابلسي: ما رأيتُ مثل شيخِنا الضياء .

وقال أبو إسحاق الصَّرِيفيني: كان الحافظ الزاهدُ العابُد ضياءُ الدين المقدسيُّ رفيقي في السَّفر ، وصاحبي في الحَضَر ، وشاهدتُ من كثرةِ فوائِده وكثرةِ حديثه وتبحُّره فيه .

ونقل الذهبيُّ عن الحافظ المِزّيِّ أنه كان يقولُ: الضياءُ أعلم بالحديثِ والرجالِ من الحافظ عبدالغنيّ ، ولم يكن في وقتِه مثله .

وقال الذهبيُّ: الإمامُ العالمُ ، الحافظ الحجةُ ، مُحَدِّث الشام ، وشيخُ السنةِ ضياءُ الدين ، صنَّف ، وصحَّح وليَّن ، وجرّح وعَدَّل ، وكان المرجوعَ إليه في هذا الشأن .

وقال الشريفُ أبو العباس الحُسَيني: حَدّث بالكثير مدة ، وخرَّج تخاريجَ كثيرةً مفيدةً ، وصنّف تصانيفَ حسنةً .

وكان أحدَ أئمةِ هذا الشأنِ ، عارفاً بالرجالِ وأحوالهم ، والحديثِ صحيحه

وسقيمه ، ورعاً مُتديّناً طارحاً للتكلف .

وقال الذهبي أيضاً: بنى مدرسةً على باب الجامع المُظفَّري بسفح قاسيون وأعانه عليها بعضُ أهل الخير ، ووقف عليها كُتُبه وأجزاءَه .

وقال غيرُه: بناها للمُحدِّثين والغُرباءِ الواردين ، مع الفقرِ والقلة ، وكان يَبني منها جانباً ويصبرُ إلى أن يجتمعَ معه ما يَبْني به ، ويَعملُ فيها بنفسِه ، ولم يقبل من أحدٍ فيها شيئاً تورُّعاً .

ومناقبُه أكثرُ من أن تُحصرَ ، وإنّما أشرتُ إلى نُبذةٍ منها .

له تصانيفُ كثيرةٌ ، منها:

كتاب « الأحكام » يعوزُ قليلاً ، في نحو عشرين جُزءاً في ثلاثِ مجلداتٍ.

كتاب « الأحاديث المختارة » [1] وهي الأحاديثُ التي يَصْلحُ أن يُحتج بها سوى ما في « الصحيحين » ، خرجها من مسموعاته ، كتب منها تسعين جزءاً ولم تُكملُ .

قال بعض الأئمة[2]: هي خيرٌ من « صحيح » [3] الحاكم .

كتاب « فضائل الأعمال » أربعة أجزاء[4].

كتاب « فضائل الشّام » [5] ثلاثة أجزاء .

كتاب « مناقب أصحاب الحديث » أربعة أجزاء .

---

(١) وقد طبع منه ستّ مجلدات .

(٢) هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، قاله في « مجموع الفتاوى »: ٤٢٦/٢٢ . وانظر « الرسالة المستطرفة »: ١٩ ـ ٢٠ للكتاني .

(٣) يريد « المستدرك » .

(٤) وقد طبع قريباً ، في مؤسسة الرسالة ـ بيروت

(٥) وقد طبع في مصر .

« صفة الجنّة » ثلاثة أجزاء .

« صفة النّار » جزآن .

« أفراد الصّحيح » جزء و« غرائبه » تسعة أجزاء « ذمّ المسكِر » جزء ، «الموُبقات » أجزاء كثيرة .

و« كلام الأموات » جزء .

« شفاء العليل » جزء « الهجرة إلى أرض الحبشة » جزء .

« قصة موسى عليه السلام » جزء .

« فضائل القرآن » جزء .

« الرواة عن البخاري » جزء .

« دلائل النبوة » .

« الإلهيات » ثلاثة أجزاء .

« فضائل الجهاد » جزء .

« النهي عن سبِّ الأصحاب »[1] جزء .

« الحكايات المستطرفات » أجزاء كثيرة ، فيها أحاديثُ مخرّجة .

كتاب « سبب هجرة المقادسةِ إلى دمشقَ ، وكرامات مشايخهم » نحو عشرة أجزاء .

وأفردَ لأكابرهم[2] من العلماء ، لكلّ واحد سيرةً في أجزاء كثيرة .

« أطراف الموضوعات » لابن الجوزي في جزأين ، « تحريم الغيبة » جزء، « الموقف والاقتصاص » جزء .

« الاستدراك » على الحافظ عبدالغني ، في عزوه أحاديث في « دُرَر الأثر» جزء .

---

(١) تحت الطبع بتحقيق أخينا الشيخ مشهور حسن .

(٢) أي: أكابر علماء المقادسة .

« الاستدراك ، على المشايخ النَّبَل » لابن عساكر جزء .

كتاب « الإرشاد إلى بيان ما أشكل من المرسَل في الإسناد » جزء كبير ، فيه فوائد جليلة[1] .

« الموافقات » جزء .

« طرق حديث الحوض النبويّ » جزء .

« أحاديث الحرفْ والصَّوتْ » جزء .

« الأمر باتباع السُّنن واجتناب البدع »[2] جزء .

كتاب « مسند فضالة بن عُبيد » جزء .

كتاب « الأمراض والكفّارات والطبّ والرّقيات » .

روى عنه ابن نُقطة في « استدراكه » ، فقال: حدّثنا محمد بن عبدالواحد الجبليّ بالجبل ظاهر دمشق ، وابن النجّار في « تاريخه » ، والبرْزالي وعُمر بن الحاجب ، وابن أخيه الفَخر بن البُخاريّ ، والقاضي تقيّ الدين سليمان، وابن القرّاء ، والنَّجم الشَّقْراويّ ، وإسماعيل بن الخباز ،والحسن ابن الخلال ، والدَّشْتي ، وأبو بكر بن عبد الدايم ، وعيسى المطعِم ، وخلق كثير .

توفي في يوم الاثنين الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وأربعين وستمائةٍ بسفح قاسِيُون ، ودُفن به .

رحمه الله تعالى[3] .

---

(١) وقد ضَمّنَه العلائيُّ كتابَه « جامع التحصيل » كما ذكر فيه (ص ١٦٧) .

(٢) وقد طبع بتحقيقي .

(٣) يُنظر لترجمته ـ أيضاً ـ « تذكرة الحفاظ »: ٤/١٤٠٥ ، و« الوافي بالوفيات »: ٤/ ٦٥ ، و«البداية والنهاية »: ١٣/١٦٩ ، و« شذرات الذهب »: ٥/ ٢٢٤ .

نَصيحةُ الملك الأشرَف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي تواضَعَ كُلُّ شيءٍ لِعَظمتهِ .

والحمدُ للهِ الذي استَسْلم كُلُّ شيءٍ لِقُدرتهِ .

والحمدُ للهِ الذي خَضَعَ كُلُّ شيءٍ لِمُلكهِ .

اللهمَّ صَلِّ على محمدٍ كما تُحِبُّ أنْ نُصَلِّيَ عليه ، وَصَلِّ على محمدٍ كما أمَرْتَ أن يُصَلى عليه ، وصَلِّ على محمدٍ كما يَنْبغي أن يُصَلى عليه ، وعلى آله وسَلِّم .

قال اللهُ تعالى في كتابهِ: ﴿ وَذَكِّرْ فإنَّ الذِّكرى تنفعُ المؤمنين ﴾[1].

١ـ وقال النبيُّ ﷺ: (لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتّى يُحِبَّ لأخيهِ أو لِجارهِ ما يُحِبُّ لنفسهِ)[2].

٢ـ وقال ﷺ: (ما زالَ جبريلُ يوصيني بالجارِ حتّى ظَنَنْتُ أنّه سَيُوَرِّثُهُ)[3].

٣ـ وقال النبيُّ ﷺ: (الدِّين النصيحةُ ، الدِّين النصيحةُ)[4].

---

(١) الذاريات: ٥٥.

(٢) أخرجه البخاري: رقم: ١٣ ، ومسلم رقم: ٤٥ عن أنس بن مالك . ورواه النَّسائي: ٨/١١٥ ، وزاد: « من الخير » .
قال الحافظ في « فتح الباري »: ١/٥٤: « والمراد بالنَّفْي كمالُ الإيمان ، ونفيُ اسم الشيء على معنى نفي الكمال عنه مستفيضٌ في كلامِهم » .

(٣) رواه البخاري: ٦٠١٤ ، ومسلم: ٢٦٢٤ عن عائشة .
وفي البابِ عن ابن عُمَر ، وابن عَمْرو ، وغيرهما .

(٤) رواه مسلمٌ برقم: ٩٥ عن تميم الداريِّ رضي الله عنه .
وفي الباب عن عدّة من الصحابةِ استوعبتُ تخريج رواياتهم في جزء مُفرَد بعنوان «تجريد القريحة في طرُق حديث: الدين النصيحة» وهو الجزء رقم: ٢١ من سلسلتي: « الأجزاء الحديثيّة » .

قيلَ: لمن يا رسولَ اللهِ ؟

قال: (للهِ ، ولكتابهِ ، ولرسولهِ ، ولأئمّةِ المسلمينَ وعامتِهم)[1].

فـإذا جاوَرَ إنسـانٌ إنساناً فيَنبـغي له أن يَنصَحَهُ[2] ، ويَدلَّهُ على ما يعلمُ له مِن الخيرةِ في أمرِ دينهِ ودُنياهُ .

ولما أنْ سَهّلَ اللهُ تعالى مُجاورةَ الملكِ الأشرفِ لأهْلِ الشام زادَهُ اللهُ شرَفاً فيما يقرِّبهُ إليه ، وجَعَله مِن حِزبِهِ المتوكّلين عليه ، وجنَّبه أهوالَ ما بين يَدَيْهِ ، ووفَّقَه توفيق العارفين ، وجَعَله مِن أوليائهِ المتَّقين ، وعبادِهِ الصالحِين ؛ وذلك ـ إن شاءَ اللهُ ـ مِمّا خارَ له فيه ، فإنَّ النبيَّ ﷺ قال في غيرِ حديثٍ:

٤ـ (عَليكُم بالشّام ، فإنَّ اللهَ قد تكفَّل لي بالشامِ وأهلهِ)[3] .

---

(١) قال ابنُ الأثير في « جامع الأصول »: ١١/٥٥٨:
« النصيحةُ: كلمةٌ يعبّر بها عن جُملةٍ ، وهي: إرادةُ الخيرِ للمنصوح له ، وليس يُمكن أن يُعبّر عن هذه اللفظة بكلمةٍ تحصُرُها وتجمعُ معناها غيرُها .
وأصلُ النصيحة في اللغة: الخُلوص .
ومعنى النصيحةِ للهِ عزَّ وجلَّ: صحةُ الاعتقادِ في وحدانيته وإخلاص النيّةِ في عبادتهِ .
والنصيحةُ لكتاب الله تعالى: هو التصديقُ بهِ ، والعَمَلُ بما فيهِ .
والنصيحةُ لرسولهِ: التصديقُ بنبوّتهِ ، وبذلُ الطاعة فيما أمَرَ به ونهى عنه .
والنصيحةُ لأئمّة المؤمنين: أن يُطيعَهم في الحقّ ، ولا يرى الخروجَ عليهم بالسيفِ إذا جاروا .
والنصيحةُ لعامّة المسلمين: إرشادُهم إلى مصالِحهم » أ.هـ .

(٢) كما في حديث جَرير بن عبدالله البجلي قال:
« بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصلاةِ ، وإيتاءِ الزكاةِ ، والنُّصح لِكلِّ مُسلم».
رواه البخاري: ٥٧ ، ومسلم برقم: ٥٦ .

(٣) رواه الحاكم: ٤/٥١٠ ، وأحمد: ٥/٢٨٨ ، ٣٣ ، وأبو داود: ٢٤٨٣ ، والطحاوي في « مشكل الآثار »: ٢/٣٥ ، من طرق عن عبدالله بن حوالة .
ورواه الطبراني في « المعجم الكبير »: ٢٢/٥٨ / رقم: ١٣٧ ، وفي « مسند الشاميين»: ٣٣٨٢ ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق »: ١/١٠٨ ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية »: ١/٣١١ ، من طُرق عن واثلة بن الأسقع .
وقال شيخُنا في «تخريج أحاديث فضائل الشام » (ص ١٢):
« حديث صحيحٌ جداً » .
ثم قال: « وله شواهد » .

٥ـ (صفوةُ اللهِ مِن بلاده يَجتبي إليه خير عبادِهِ)[1].

فتحقَّق عندنا نُصحُهُ فيما نعلمُه ، ونَدُلُّهُ على ما نراه صواباً .

وبالله التوفيقُ:

فينبغي للعبد أنْ يَشكُرَ نعمةَ الله تعالى عليه ، فإنَّ الله تعالى قالَ: ﴿ لئِن شكَرتُمْ لأزيدَنكُمْ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ ما يَفعلُ اللهُ بِعذابكُمْ إنْ شكَرتُمْ وآمنتُمْ ، وكانَ اللهُ شاكِراً عليماً ﴾[3].

وإذا لم يَشكُرِ النِّعَمَ بطاعة الله تعالى خِيفَ من زَوَالها ، فإنّه رُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّهُ قال:

٦ـ (إذا أعطى اللهُ عزَّ وجلَّ العبدَ ما يُحِبُّ وهو مقيمٌ على مَعاصيهِ ، فإنّما ذلك استِدراجٌ)[4].

ثم نزَعَ رَسولُ الله ﷺ بهذه الآية: ﴿ فلما نَسُوا مَا ذُكِّروا بهِ فَتحْنا عَليْهِمْ أبواب كُلِّ شيءٍ حَتّى إذا فَرِحُوا بِما أوتُوا أخذْناهُمْ بَغتةً فإذا هُم

---

(١) قطعةٌ من الذي قبله .

(٢) إبراهيم: ٧ .

(٣) النساء: ١٤٧ .

(٤) أخرجه أحمد في « المسند »: ٤/١٤٥ ، وفي « الزهد »: ص: ١٢ ، وابن جرير: ٧/١١٥ ، والدُّولابي: ١/١١١ ، والبيهقي في « الأسماء والصفات»: ٤٨٨ ، والخرائطي في «فضيلة الشكر » رقم: ٧٢ ، من طرق عن حرملة بن عِمْران التُّجيبي ، عن عُقبة بن مُسْلِم ، عن عُقبة بن عامر .
وهذا إسنادٌ صحيحٌ .
وله طرُق أخرى عند الطبراني في « الكبير »: ١٧/٢٨٣ ، وابن عبدالحكم في « فتوح مصر » ٢٩٣ .
وانظر « مجمع الزوائد »: ٧/٢٠ ، ١٠/٢٤٥ .
(فائدة): روى ابنُ أبي الدنيا في « الشكر »: ١١٥ ، والبيهقي في « الأسماء والصفات »: ٤٨٩ ، عن سفيان في قوله عزّ وجلّ : ﴿ سَنَستَدرِجُهُمْ مِن حَيثُ لا يَعلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٢] ، قال: (يُسبِغُ عليهم النِّعَم ، ويمنعُهُم الشُّكرَ).

مُبلسون﴾[1].

ويَنبغي أنْ تُتَّقى المظالمُ:

قال اللهُ تعـالى: ﴿ ونَضَعُ الموازينَ القِسط ليوْم القيـامةِ فلا تُظلمُ نفسٌ شيئاً وإنْ كانَ مثقال حَبَّةٍ منْ خرْدل أتينا بها ، وكفى بِنا حاسبين ﴾[2].

ورُويَ عن النبيِّ ﷺ أنّه قال:

٧ـ (الظلمُ ظلماتٌ يومَ القيامةِ)[3].

وقال فيما يَحكيهِ عن ربِّهِ عزَّ وجلَّ أنَّه قال:

٨ـ (يا عِبَادي ! إنّي حَرَّمتُ الظلمَ على نَفسي ، وجَعَلتُهُ بينكم محرَّماً فلا تظالموا)[4].

وقال النبيُّ ﷺ لِمُعاذٍ لـمَّا بَعَثَهُ إلى اليَمَن:

٩ـ (إيَّاكَ ودعوةَ المظلوم ، فإنّه ليْسَ بَينَها وبَيْنَ اللهِ حِجابٌ)[5].

(١) سورة الأنعام: ٤٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٤٧ .

(٣) رواه البُخاري: ٢٤٤٧ ، ومسلم: ٢٥٧٩ ، عن ابن عُمر .
وفي الباب عن جابر ، وابن عَمْرو ، وغيرهما .

(٤) رواه مسلم: ٢٥٧٧ ، عن أبي ذرٍّ .
وقد رواه الإمام النَّووي في « الأذكار »: ص ٤٣٧ بسنده ثم قال: « قال أبو مُسْهِر: قال سعيد بن عبدالعزيز: كان أبو إدريس إذا حدّث بهذا الحديثِ جَثَا على رُكْبَتَيْهِ .
هذا حديثٌ صحيحٌ ، رُوِّيناه في « صحيح مُسلم » وغيره ، ورجالُ إسناده منّي إلى أبي ذرٍّ رضي الله عنه كلهم دمشقيُّون ، ودَخَلَ أبو ذرٍّ رضي الله عنه دمشق .
فاجتَمعَ في هذا الحديثِ مِن الفوائد:
مِنها صحّةُ إسنادِهِ ، ومَتْنِهِ ، وعُلُوِّه ، وتسلسُلِهِ بالدمشقيِّين رضي الله عنهم وبارك فيهم .
ومِنها ما اشتَمَلَ عليه من البيان لقواعد عظيمةٍ في أصول الدين وفروعهِ ، والآداب ، ولطائف القلوبِ وغيرها ، ولله الحمد » ا.هـ .
ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالةٌ مفردةٌ في شرحهِ .

(٥) لم أقِف عَليْهِ مِن وَصِيّةِ النبيِّ ﷺ لمعاذ !! ولكنّ المرفوعَ منه صحيحٌ ، وَرَدَ من عدَّة طرُق ، استوعبها تخريجاً وتعليقاً شيخنا الألباني في كتابهِ المُستطاب « سلسة

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنّه قال:

١٠ـ « في بعض الكُتُبِ التي أنزلها اللهُ على بعض أنبيائهِ صلى اللهُ عليهم وسلم: أيُّها الملكُ المُبْتلى المغرورُ! إنّي لم أبْعَثكَ لِتجمعَ الدنيا بعضَها على بعض، ولكنْ بَعَثْتُك لِتَردَّ عنّي دعوةَ المظلوم؛ فإنّي لا أردُّها، ولو كانت مِن كافرٍ »[1].

وقال النبيُّ ﷺ:

١١ـ (مَن كانت عندَه مَظلمةٌ لأخيهِ في عِرْضهِ أو مالهِ، فليَتَحَلّلها مِنه قبلَ أنْ يُؤخَذَ حيثُ لا يكونُ دينارٌ ولا درهمٌ، إنْ كان له عَمَلٌ صالحٌ أخِذَ منه بقدر مظلمتهِ، وإن لم تكن له حَسَناتٌ أخذَ من سيّئاتِ صاحبهِ فحُمِلتْ عليه)[2].

وَرُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال:

١٢ـ (أتدرون مَن المُفْلسُ؟).

قالوا: المفلسُ فينا مَن لا درهمَ له ولا متاعَ.

قال: (فإنَّ المُفْلِس من يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وزكاةٍ وصيام، ويأتي قد شتم هذا، وقذَفَ هذا، وأكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعطى هذا من حسناتهِ، وهذا مِن حسناتهِ، فإنْ فنيتْ حَسَناتُهُ قبلَ أن يُقْضى ما عليهِ: أخِذَ من خَطاياهم، فطرحَتْ عليهِ، ثُمَّ طرحَ في

= الأحاديث الصحيحة » رقم: ٧٦٧.
وانظر « الإحسان إلى تقريب صحيح ابن حبان »: ٨٧٥.

(١) رواه ابن حبّان: ٣٦١، وأبو نُعيم: ١/١٦٦، والآجُرّي في « الأربعين » رقم: ٤٠ ـ بتحقيقي ، عن أبي ذرّ.
وفي سنده إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسّاني، وهو متروكٌ كما في «الميزان»: ١/٧٣.
وانظر تمام تخريجهِ في تعليقي على « الأربعين حديثاً »: ص: ١٣٠ للآجرّي، وقارن بـ « الدر المنثور »: ٦/٣٤١ للسيوطي.

(٢) رواه البخاري: ٢٤٤٩، ٦٥٣٤، عن أبي هُريرة.

النَّار)[1].

وَرُوِي عن النبيِّ ﷺ أنّه قال:

١٣ـ (الأميرُ الذي على النَّاس راع وهو مسؤولٌ عن رعيّته)[2].

فَنُعْلِمُ لسَعَادته ـ جَعَلَ اللهُ الخَيرَ من عادته ـ أنَّ بهذه البلدة أشياءَ لا يَحلُّ فعْلُها مِثْلُ خَمَّار الخُمور[3] ، ودارِ الطُّعَم[4] ، ومَا يُؤخَذُ على الغالةِ وسوق الغَنَم ، وشبه هذا كُله .

وَهذه الأشياءُ ـ وإن كَثُرتْ ـ فإنَّ أخذَها يَضُرُّ[5] في ذِمَّةِ آخِذِها ، وتبقى تَبِعَتُها عليه ، ويُمْحقُ عليه بما يملكُهُ أكثرَ منها ، وليس فيها بَرَكَةٌ:

قال اللهُ تعالى: ﴿ قُل لا يَستوي الخبيثُ والطيِّب ولوْ أعجَبكَ كَثرةُ الخَبيثِ فاتَّقوا الله يا أولي الألبابِ لعلكُم تُفلِحونَ ﴾[6]

وقال النبيُّ ﷺ:

١٤ـ (الحلالُ بَيِّنٌ ، والحَرَامُ بَيِّنٌ ، وبينهما أمورٌ مُشْتَبهاتٌ ، لا يعلمُها كثيرٌ من الناس ، فمَن اتَّقى الشُّبُهاتِ استبرأ لدينِهِ وعِرْضه ، وَمَنْ وَقَعَ في الشُّبهاتِ وَقَعَ في الحَرَام ، كالرَّاعي يرعى حولَ الحِمى ، يُوشكُ أن يُخالِطَ الحِمى ، ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمى ، وحِمى اللهِ محارِمُهُ)[7].

فيَا مَنْ أكثَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ له مِن الحلال ! مَا لكَ[8] تكدِّرُهُ بالحرام ؟

---

(١) رواه مسلم: ٢٥٨١ ، عن أبي هُريرة .

(٢) رواه البخاري: ٨٥٣ ، ومسلم: ١٨٢٩ ، عن ابن عُمر .

(٣) هو الذي يصنعُ الخمور .

(٤) هي نوعٌ من دور الجبايةِ ، ولعلها للمكوس ، أو ما يُقال عنه اليوم: الجمارك !!
وقال ابنُ منظور في « لسان العرب »: ٢/٥٩٤: « يُقال: فلان تُجبى له الطعم ، أي: الخراج والإتاوات » .
وقارن بـ « سير أعلام النبلاء »: ٢٣/٣٠٥ .

(٥) في « الأصل »: « تُضرّ » .

(٦) سورة المائدة: ١٠٠ .

(٧) رواه البخاري: ٥٢ ، ومسلم: ١٥٩٩ ، عن النُّعمان بن بشير .

(٨) في « الأصل »: « لمالك » ، وقال شيخنا مُعلقاً ـ ومن خطه أنقل: « كذا الأصل» ، ولعلّ الصواب: « لِمَ تُكدِّره » .

وقد رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ:

١٥- (مَنْ سنَّ في الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بها مِنْ بعدهِ ، كان له أجرُها ، وأجرُ مَن عَمِلَ بها مِن بَعْدِهِ ، لا يَنْقُصُ ذلك مِن أجورِهم شيئاً ومَن سنَّ سُنَّةً سيِّئةً فَعُمِلَ بها مِن بعدهِ ، كان عليه وِزرُها وَوِزرُ مَن عَمِلَ بها مِن بعدهِ لا يَنْقُصُ ذلك مِن أوزارِهم شيئاً)[1].

ثمَّ يَنْظرُ في أهل السُّجون ، فإنَّ بعضَهم رُبَّما حُبِسَ على ذنبٍ صغير ، وليس له مَنْ يسألَ عنه ، فيَبْقى في السِّجْن مُدَّةً ![2]

وقد بَلَغَنا في هذه السَّنَةِ أنَّهم أكلوا إنساناً مِن الجوع !

ويَنْظرُ في أمْرِ القناطِرِ[3] التي خرِبَتْ ، والمسارعةَ في بنائها ، فإنَّ في قطعِها أذِيَّةً على النَّاسَ .

ويتقدَّمُ إلى المُحْتسب[4] أنْ لا يُسعِّرَ الأشياءَ ، لكنْ يَنْظرُ في جَوْدَتِها ، فإنَّه رُوِيَ أنّه غلا السِّعْرُ في زَمانِ النبيِّ ﷺ ، فقالوا: سَعِّرْ لنا !

فقال النبي ﷺ:

١٦- (إنَّ اللهَ هُوَ المُسَعِّرُ القابِضُ الباسِطُ الرازِقُ ، إنِّي لأرجو أن ألقى اللهَ عزَّ وجلَّ وليسَ أحَدٌ يَطلبُني بمظلمةٍ في أهل ولا مال)[5].

(١) رواه مسلم: ١٠١٧ ، عن جرير بن عبدالله البَجَليّ ، وقد تقدَّم .

(٢) فكيف إذا كان مسجوناً لأنّه مسلمٌ حَسْبُ !! لأنّه يقولُ: ربِّي الله ، ويدعو إلى الله . . .

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُم إلا أن يُؤْمِنُوا باللهِ العَزيزِ الحَميدِ ﴾

(٣) هي أشبهُ ما تكون بالجسور .

(٤) هو صاحبُ الحِسبة الآمرُ بالمعروف والناهي عن المُنكر .

(٥) رواه أبو داود: ٣٤٥١، والترمذي: ١٣١٤ ، وابن ماجه: ٢٢٠٠، وأحمد: ١٥٦/٣، والدارمي: ٢٤٩/٢ ، عن أنس .
وأشار الحافظ ابنُ حجر في « التلخيص الحبير »: ١٠٤/٣ ، إلى تصحيحه ، وتابعه شيخُنا في « غاية المرام »: ٣٢٣ .

ثمَّ إقامةُ الحدودِ[1] ، فقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنّه قال:

١٧ـ (إقامةُ حَدٍّ في الأرض خيرٌ لأهلها مِن مَطرِ أربعينَ صباحاً)[2].

ثُمَّ اجتنابُ الخَمْرِ ؛ فقد سمّاها النبيُّ ﷺ:

١٨ـ (... أمّ الخبائث)[3].

ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنّه قال:

١٩ـ (مُدْمِنُ الـخَمْرِ كعابدِ وثن)[4].

---

(١) آهٍ على إقامة الحدود. !!
أين جُلُّ بلادِ الإسلام منها ؟ ! فلم يَبْقَ إلا بقيّةٌ منها ... نسألُ اللهَ السلامة .

(٢) حديثٌ حسنٌ لمجموع طرقِه ؛ انظرها مُخَرَّجةً في « سلسلة الأحاديث الصحيحة »: ٢٣١، لشيخنا الألباني .
وقارن بـ « غوث المكدود في تخريج مُنتقى ابن الجارود »: ٨٠١ ، لأخينا الفاضل أبي إسحاق الحويني ، و« الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان »: ٤٣٩٨ .

(٣) أخرجه ابن حبان: ٥٣٤٨ ، وابن أبي الدنيا في « ذمّ المسكر » رقم: ١ ، عن عُثمان مرفوعاً بسند ضعيف .
وصحّ موقوفاً على عُثمان رضي الله عنه:
أخرجه النّسائي في « سننه »: ٨/ ٣١٥ ، وابن أبي الدنيا في « ذم المسكر »: رقم: ٢ ، ومن طريقه ابنُ الجوزي في « الواهيات »: ١١٢٢ ، وكذا البيهقي في « السنن الكبرى »: ٨/ ٢٨٧ ، وعبدالرزاق في « المصنّف »: ١٧٠٦٠.
وصحّحه الحافظ ابن كثير في « تفسيره »: ٣/ ١٨٠ ، والزيلعي في « نصب الراية »: ٤/ ٢٩٨ ، وكذا شيخُنا في « صحيح سنن النسائي »: ٥٢٣٦ .

(٤) رواه ابن حبّان: ٥٣٤٧ ، وابن عديّ في « الكامل »: ٤/ ١٥٢٥، وابن الجوزي في «العلل المتناهية »: ١١١٨ ، طريق عبدالله بن خِراش عن العوّام بن حوشب ، عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس . وابنُ خِراش ضعّفه جمهورُ المحدّثين .
وتابعه حكيم جُبير:
فأخرجه البزّار: ٥٩٣٤ ، والطبراني في « الكبير »: ١٢٤٢٨ ، وأبو نعيم في «الحلية»: ٩/ ٢٥٣ ، وابن الجوزي: ١١١٨، من طريق حكيم ابن جُبير ، عن سعيد بن جُبير به .
ولكنَّ حكيماً هذا ضعيفٌ أيضاً ...
وله طريقٌ أخرى في « مسند أحمد »: ١/ ٢٧٢ عن ابن عباس .
ورجاله كلهم ثقات إلا أن راويه عن ابن عباس مُبْهـمٌ . وله شاهد عن أبي هريرة ، وفي سنده ضعفٌ:
رواه ابن ماجه: ٣٣٥٧ ، والبخاري في « التاريخ الكبير »: ١/ ١٢٩ ، فالحديث بهذه الطرق والشواهد صحيحٌ إن شاء الله .

وَرُوِي عنه ﷺ قال:

٢٠ـ (لعِنَتِ الخَمْرُ على عشرةِ وجوهٍ: لعِنَت الخمرُ بعينها، وشاربها ، وساقيها ، وبائعِها ، ومُبتاعِها ، وعاصِرِها ، ومعتصِرِها ، وحامِلِها ، والمحمولةِ إليهِ ، وآكِلِ ثمنِها)[1].

وَرُوِي عن النبيّ ﷺ قال:

٢١ـ (لا يدخُلُ الجنَّة مُدمِنُ خَمْرٍ ، ومَن ماتَ وهو يشربُ الخَمْرَ ، سقاه اللهُ مِن نهرِ الغُوطةِ ! وهو ماءٌ يسيلُ مِن فُروجِ المومِساتِ يُؤْذي ريحُهُ أهلَ النارِ)[2].

وسأل رجُلٌ النبيَّ ﷺ عنها ؟ فنَهاه عنها ، فقالَ: إنّما أصنعُها للدواء ! فقالَ:

٢٢ـ (إنّه ليسَ بدواء ، ولكنّه داءٌ)[3].

وقد قِيلَ:

---

(١) رواه أحمد: ٢/٢٥ ، ٧١ ، والطيالسي: ١٩٥٧ ، وأبو داود: ٣٦٧٤ ، وابن ماجه: ٣٣٨٠ ، والحاكم: ٤/١٤٤ ، عن ابن عمر . وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبيُّ .
وهو كما قالا ؛ وله طرق وشواهد تُنظر في « الإرواء »: ١٥٢٩، و« التلخيص الحبير»: ٤/٧٣ .

(٢) رواه أحمد: ٤/٣٩٩ ، وابن حبان: ٥٣٤٦ ، والحاكم: ٤/١٤٦ ، من طريق أبي حَرِيز ، عن أبي بُردةَ عن أبي موسى مرفوعاً .
وأبو حريز: مُختلفٌ في ثقتهِ ؛ واختار الحافظ ابنُ حَجَر أنه: « صدوق يُخطئ » ، فهو إلى الضعف أقربُ .
وله شاهدٌ قاصر عند أحمد: ٣/١٤ ، ٨٣ ، عن أبي سعيد الخدري ـ وفي سنده عطيّة العوفي ـ لا يُقوِّيه . . .
فقولُ المعلق على « الإحسان » ١٢/١٦٦: « لعلّ حديث الباب يتقوّى به ويحسّن» غيرُ حَسَنٍ !!

(٣) رواه مسلم: ١٩٨٤ ، عن طارق بن سُوَيد .

٢٣ـ (مَن تَركَ شيئاً لله عوَّضهُ اللهُ خيراً منه)[1].

وينبغي للعبد أن لا يُؤخِّر التوبةَ ، فإنَّ الموتَ رُبَّما أتى بغتةً ، ويندمُ حينَ لا ينفعُهُ النَّدمُ ، فقد قال اللهُ تعالى: ﴿ وتُوبُوا إلى اللهِ جميعاً أيُّها المؤمِنونَ لعلكُم تُفلِحونَ ﴾[2].

وقال النبيُّ ﷺ:

٢٤ـ (للهُ أفرَحُ بتوبةِ عبدهِ مِن رجُل مرَّ بأرض دَويَّةٍ ، مُهلِكةٍ ، ومَعَه راحلتُهُ عليها طعامُهُ وشرابُهُ وما يُصلِحهُ ، فنَزَلَ ونام ، فاستيقظ وقد ذهَبَتْ، فطلبَهَا فغَلبَتْه عيناه فنامَ ، فاستَيقظ ، فإذا راحِلتُهُ عند رأسهِ ، عليها طعامُهُ وشرابُهُ وما يُصلِحُهُ)[3].

ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ:

٢٥ـ (مِن قِبَل مغربِ الشَّمس بابٌ مفتوحٌ للتوبةِ ، مسيرةُ عَرْضهِ سبعونَ سَنَةً ، فلا يزالُ البابُ مفتوحاً حتّى تطلعَ الشمسُ مِن مَغْربها)[4].

ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال:

٢٦ـ (إنّي لأستغفرُ الله في اليوم مئة مرّة)[5].

---

(١) بل صحَّ نحوُ هذا مرفوعاً عن النبيِّ ﷺ:
رواه وكيع في « الزهد »: ٣٥٦ ، وأحمد: ٣٦٣/٥ ، والنسائي في « الكبرى » ـ كما في « التحفة » : ١٩٩/١١ ـ والقضاعي في « مسند الشهاب »: ١١٣٥ ، عن أحد الصحابة بسند صحيح .
وانظر تعليقي على « موارد الأمان »: ص١٠٢ .
وقارن بـ « الخطب والمواعظ »: ٨ ، لأبي عُبيد القاسم بن سلام .

(٢) سورة النور: ٣١.

(٣) رواه البخاري: ٥٩٤٩ ، ومسلم: ٢٧٤٤ ، عن ابن مسعودٍ ، والدَّويَّة: الفلاة والمفازة.

(٤) رواه الترمذي: ٣٥٣٥ ، والنسائي في « التفسير »: ١٩٨ ، وابن ماجه: ٤٠٧٠ ، والطيالسي: ١١٦٧ و ١١٦٨ ، وأحمد: ٢٣٩/٤ ـ ٢٤١ ، عن صفوان بن عسّال بنحوه ، وسنده حسن .

(٥) رواه مسلم: ٢٧٠٢ ، وأبو داود: ١٥١٥ ، عن الأغرّ المزنيّ رضي الله عنه .

وقال ابنُ عُمَرَ: إنْ كُنَّا لنَعُدُّ لِرَسولِ اللهِ ﷺ في المجلس الواحدِ:

٢٧ـ (رَبِّ اغفِر لي وارْحَمْني إنّك أنتَ التَّوابُ الغفورُ) مئة مرةٍ . هذا وقد غُفِرَ له ما تقدَّم مِن ذنبِهِ وما تأخَّرَ [١].

صلى اللهُ عليه وسلم .

[قال المؤلِّفُ]

كتبتُ بهذهِ الوصيّة نُسخةً ، وبَعثْتُها إلى الأخِ الإمام الزاهدِ أبي عبدِاللهِ محمد اليُونينيِّ [٢].

فذكَرَ لي بَعْدَ ذلك أنّه قرأ على الملِكِ الأشرف إلى هُنا .

شعرٌ:

مَثِّل بنفسِك ياذا الذنبِ عُريانا ... يومَ الحسابِ قريحَ القلب حَيْرانا

يوماً ترى فيه ما قدَّمْتَ مِن عَمَلٍ ... وفي صحائفَ سُودٍ كُلَّ ما كانا

يوماً يقولُ لك المولى كفى حَكَماً ... بنفسِك اليومَ لا يَبْغيك عُدوانا

اقْرأ كتابكَ يا عَبْدي على مَهَلٍ ... وانظر ترى فيه شيئاً غير ما كانا

إذا قراه ولم يُنكِر أقرَّ بهِ ... إقرارَ مَن يعرفُ الأشياء عرفانا

كم مِن فضائحَ يومَ العرض يُظْهِرُها ... ربُّ البريَّة مَن في عَهْدِهِ خانا

نادَتْ جوارِحُهُ بالخِزْي ناطقةً ... وكان يَكْتُمُها خِلاً وإخواناً

شابَ الصِّغارُ بها من غير أنْ كَبِروا[٣] ... والشيخ أضحى لدى النِّيران ولهانا

والنَّارُ تزفُرُ مِن غيظٍ ومِن حَنَقٍ ... على العُصاة وربُّ العرش غضْبانا

---

(١) رواه أحمد: ٢/٢١ ، وأبو داود: ١٥١٦ ، وابن ماجه: ٣٨١٤ ، وابن حبان: ٢٤٥٩ ، وابن السُّني: ٣٦٤ . عن ابن عمر ، وسنده صحيح .
وانظر ـ لفائدةٍ جليلةٍ ـ « سلسلة الأحاديث الصحيحة »: ٥٥٦ ، لشيخنا الألباني ، حفظه الله

(٢) توفي سنة: (٦٥١) ، ترجمته في « السِّيَر »: ٢٣/٢٨٠ .

(٣) في « الأصل »: يكبروا ، والصواب ما أثبتُّ .

قال الجليلُ خُذوه يا زبَانِيَتي فسِيقَ بالعبدِ نحْوَ النار عَطشانا

يا ربِّ لا تُخزِني يومَ المعادِ ولا تجْعَل على يدي للنارِ سُلطانا

غيرُهُ:

يا مَنْ إليهِ بجُودهِ أتوسّلُ وعليهِ في كُلّ الأمورِ أعوّلُ

أدعوكَ رَبِّ تضرُّعاً وتذللاً فإذا رَدَدْتَ يدي فمَنْ ذا أسألُ

قد قادَني أملٌ إليك ودلّني فقْدٌ عليكَ وَفاقةٌ وتَذلّلُ

وعَلمْتُ أنّك لا تُخيِّبُ آملاً أضحَى لِفضلكَ يا كريمُ يُؤَمّلُ

فبِنُورِ وَجْهكِ كُن لذنبي غافِراً فعليك في غُفرانهِ أتوكّلُ

[تمّتْ بحمدِ اللهِ]

